المسلمون في الفيليبين

الفيليبين هي ارخبيل او مجموع جزائر في الاوقيانس الكبير تتألف من نحو الف ومائتي جزيرة صغرى وكبرى. وهذه الجزر في القسم الشمالي من ماليزيا اكتشفها ماجلان الملاح البرتغالي ودعيت باسم فيليب الثاني ملك اسبانيا وهي ممتدة على ١٥٠٠ كيلو متر من الشمال الشرقي من بورنيو بين بحر الصين والمحيط الباسيفيكي وتبلغ مساحتها السطحية ٢٩٦٠٠٠ كيلو متر مربع واهم محاصيلها البن والابازير «التوابل» وقصب السكر والارز والتبغ والقنب ومن بحرها وانهارها يستخرج عرق اللؤلؤ والدر بكثرة ومناخها شديد ولذلك كان اهلها وعددهم زهاء سبعة ملايين نسمة اشداء اقوياء. وقد اضمحل سكانها الاصليون الا قليلاً بما داهمهم من بأس الفاتحين من الماليزيين واكثر سكانها تمدناً اليوم هم التاغال وعددهم مليون ونصف والفيزايا وعددهم مليونان ونصف والفيكول وعددهم اربعمائة الف والمورو اي المغاربة وهم المسلمون وعددهم كثير في الجزائر الجنوبية وهم اخلاط من الماليزيين والصينيين والهنديين والعرب والجاحدين من الاوربيين ويعد في جملة المسلمين قوم من الجوراماتادو يقدمون ارواحهم فدية لله ويتقربون اليه بقتل الكافرين وهم متعصبون على الجملة على ما وصفهم اكثر من كتبوا عنهم

ولقد استولت اسبانيا على هذه الجزر زمناً ولكنها لم تعمرها وغاية ماصرفت وكدها اليه تنصير السكان ليدينوا بالكثلكة فاصبح المتظاهرون بها والمنتحلون لها تسعين في المئة من السكان ولما لقي التاغال والميتيون مالقوا من سيطرة رجال الدين وسوء الادارة قاموا يريدون تخفيف ماتالهم وان يعاملوا بالمساواة مع البيض فنشبت ثورة سنة ١٨٩٦ ولم تنطفئ شعلتها الا بوعد زعيم الثائرين ان تقوم اسبانيا بالاصلاح المنشود ولما لم تتم هذه الحكومة بوعدها عاد ذاك الزعيم يبدي نواجذ الشر في السنة التالية بمعاونة الولايات المتحدة وبعد ان حاربت الحكومة الاميركية اسبانيا من اجل هذه الجزائر استولت على الفيليبين وكوبا وبورتوريكو ونكست اعلام اسبانيا وراح الاميركان يستعمرونها فيحسنون استعمارها

ولما مد السلام رواقه على هذا الارخبيل وانتهى دور الكتائب والحسام جاء الدور للكتب والاقلام واخذت المجامع العلمية تبعث بوسلها تبحث وتنقب لتنظر في تاريخ الفيليبين واجتماعيها وعمرانها فانتشر منذ سنة نحو عشرين مصنفاً في الكلام على هذه الجزائر ومن جملتها كتاب تاريخ المور واي مسمى الفيليبين لوطنينا الفاضل الدكتور نجيب صليبي

وقد اطلعنا على بحث في مجلة العلم الاسلامي الفرنسوية اقتطفناه من مصادر كثيرة

ومنها كتاب جزائر الفيليبين الذي ظهر مؤخراً بالانكليزية من قلم جون فورمان فآثرنا تحصيله للقراء ليقفوا على احوال اولئك القوم ويعرفوا مبلغ عناية الغربيين بكل فرع من فروع العلم والاجتماع قالت المجلة البارزية :

شغل المؤلف جزءاً عظيماً من كتابه بالكلام على المسلمين بعد ان اطال عشرتهم وخالط زعماء الثورة ورجال الحكومة منهم فجاء من ذلك ببيان رائده الانصاف وسداه ولحمته التحقيق وقد ابان في كتابه علاقة مسلمي الفيليبين مع الاسبانيين سابقاً ومع الاميركيين لاحقاً الى اواسط سنة ١٩٠٥

المسلمون اليوم هم عبارة عن ثمانية او تسعة اعشار جزيرة ميندناو الكبرى وجميع ارخبيل سولو مع جنوبي بالوان وكانوا منتشرين في الشمال من تلك البلاد على عهد الفتح الاسباني ولما نزلت الحملة الاسبانية الاولى في جزيرة لوسون سنة ١٥٠٧ اختلطت لاول امرها مع الراجا (حاكم) توندو وابن اخته الراجا سليمان في مانيلا حاضرة الفيليبين اليوم وكان قائد الجيش الاسباني العام اذ ذاك يرى سكان توندو ومانيلا مسلمين ويطلق عليهم في مكاتباته الرسمية لفظ المورو اي المغاربة ولم يكن لاحد من الاسبانيين شك في ذلك لان المغاربة لم يطردوا الطرد الاخير من اسبانيا الا سنة ١٤٩٢

ولقد اختلفت الاقوال في دخول الاسلام الى تلك الجزر والمرجح ان الجزر الجنوبية مثل ميداناو وسولو انتشر فيها الاسلام لقربها من مسلمي شمالي بورنيو فاستولى المسلمون على سلطنة بورنيو عقيب ان خربوا مملكة الماجاباهيت من بلاد جاوه سنة ١٤٧٣ ولم يتحارب الاسبانيون مع سلاطين المسلمين الا في سنة ١٥٧٧ وقد تقدم السلطان عبد القهار عدة ملوك مسلمين ومنه بدأ تاريخ الفتن بين المسلمين والاسبانيين. وبالجملة فان الاسلام انتشر في ميداناو وبورنيو بمساعي دعاة من العرب على انه لم ينتشر حقيقة في جنوبي الفيليبين ابان الفتح الاسباني ولم تتجل سولو الاسلام الا بعد ان جاءها دابكس من بورنيو وتزوج احد زعمائهم المدعو اندازولان — وكان استولى اولاً على جزيرة باز يلان ثم على سولو — من ابنة زعيم من اعيان المسلمين في ميداناو وانتحل الاسلام واسس سلطنة سولو ثم قويت شوكته باتحاده مع بورنيو وميداناو

وعادت الاحقاد القديمة فتجددت بين الاسبانيين والمسلمين وحمل الاسبانيون على هؤلاء مدفوعين بعامل السخط الشديد وفي سنة ١٥٧٦ ثار لاكاندولا والراجا سليمان في جزيرة لوسون ولكن قوة الاسبانيين اذ ذاك حالت دون انتشار الكلمة الاسلامية وان بقيت اليوم بقية من ذرية لاكاندولا في بعض القرى فقد انحط مقامهم واصبحوا نكرة لا تعرف

حتى ان احدهم كان خادماً في مطعم فرنسوي في مانيلا سنة ١٨٨٥

وقد بعثت اسبانيا سنة ١٥٩٦ حملة على ميندناناو فقتل قائدها عند نزوله الى البر واغار والي سولو بنفسه سنة ١٦٢٨ فاحتل بعض المراكز في شاطيء ميدناناو حيث لقب الراجا سيبوجي سنة ١٦٤٠ بلقب السلطنة . ولم تكن هذه السلطنة وذاك الاحتلال الا اسماً لا حقيقة لها اذ بقيت الفتن قائمة قاعدة بين المسلمين الاصليين والمسيحيين الفاتحين ولا سيما في القرصنة . فدامت الغزوات البحرية بين الفريقين بلا انقطاع مدة ثلاثة قرون فريق يعتقد انه يجاهد جهاداً مقدساً وهم المسلمون وفريق يدعي انه يحارب باسم الصليب وهم المستعمرون الاسبانيون

وفي اواسط القرن الثامن عشر حدثت بين المسلمين والاسبانيين فترة غريبة ذلك بان المفاوضات بينهم انتهت بان يكاتب ملك اسبانيا سلطان سولو الذي قاوم احد اخوته مكانه فجاء مانيلا يطلب مساعدة حاكمها . ورأى السلطان محمد علم الدين ان ينتصر فتعمد والحقت به أسرته وبدأت تتعلم في مانيلا التعليم الاسباني المسيحي وبعد سنتين رُخّص له بان يذهب من مانيلا الى سولو وزامبوانكا في موكب له فاضطر اولاً ان يكتب الى السلطان محمد امير الدين في ميندناناو ينصح له بلسان شديد اللهجة ان ينضم الى الاسبانيين . وبعد سفره بقليل تبين للحاكم الاسباني ان العبارة العربية كانت مخالفة للعبارة الاسبانية التي كتبها بنفسه ووقع عليها ولذلك امر بسجنه في زامبوانكا ثم اعيد الى مانيلا ولم يسع الوالي الاسباني الا ان يعود الى تنصير ذلك الحاكم المسلم ولو صورة

ولما احتل الانكليز مانيلا سنة ١٧٦٣ وجدوا السلطان مسجوناً فاطلقوا سراحه . فراح الى سولو واقام على استئصال شأفة الاسبانيين في ميندناناو واصاب الانكليز ايضاً شيء من شره وان احسنوا معاملته . وقد بعث الانكليز الى سولو بمئة وخمسين رجلاً لتوطيد قدمهم فيها فدعاهم احد زعماء المسلمين الى مأدبة وذبح منهم ١٤٤

وبعد ان انجلت انكلترا عن قاعدة تلك البلاد عدل الاسبانيون من معاملتهم للمسلمين فاعترفوا سنة ١٨٣٦ باستقلال سلطانهم هناك حتى اذا كان عام ١٨٨٤ سيروا عليه حملة واستولوا على حاضرة بلاده فراح السلطان وخاصة رجاله يحتفظون بالقابهم فأدرت حكومة اسبانيا عليهم رواتب ومشاهرات الا ان المسلمين لم يبرحوا يلجأون الى الغارة والنهب في السواحل حتى قيل ان غارات المسلمين فوتت شوكتها سنة ١٨٧٦ فلم يعد حكم اسبانيا في سولو الا اسمياً

وهكذا جرت حوادث بين حكام الاسبانيين والسلاطين المسلمين يخضع هؤلاء

ثارة وينقضون اخرى مثل سلاطين باكات وبوهاين وكودارنكان المتحالفين مع داتواوتو ولما ضاقت اسبانيا ذرعاً ببعض القبائل المسلمة وانتقاضها الحين بعد الآخر عزمت غداة ثورة سنة ١٨٩٦ ان تطرد المسلمين من عقر دارهم وتسكن فيها جماعة من المسيحيين الوطنيين ثم خضع بعض اولئك الامراء للاسبانيين خضوع حب لان منهم من كان يقدر المدنية الغربية قدرها ولذلك ظلوا على موالاة الاميركانيين ايضاً بعد ان استولوا على هذه الجزائر .

ويؤخذ مما كتبه فورمان ان الاحقاد القديمة بين الاسبانيين والمسلمين دامت على اشدها مدة ثلاثة قرون وظل المسلمون هناك يذكرون ما وقع لاخوانهم مسلمي اسبانيا . ومما كانت تجري الشروط عليه بين والي مانيلا الاسباني وحاكم سولو المسلم ان لا تمس شعائر المسلمين . وعلى ما حاولته اسبانيا من تنصير المسلمين فقد خرجت من الجزائر كيوم دخلتها ولم تفلح فيما قصدت اليه . ولا شك ان جمهورية الفيليبين تحسن معاملة المسلمين كالاسبانيين وكذلك المسلمون لم يكونوا اقل عداء لسكان البلاد المسيحيين من معاداتهم للبيض .

ولما استولى الاميركيون على الجزائر لم يمسوا المعتقدات الاسلامية ولا عملوا على نقض شرع اهل الاسلام وان كانوا ينكرون عليهم ترتيباتهم في حكومتهم وهي حكومة اعيان « ارستوكراطية » وقد انتقد احدهم على حكومة الولايات المتحدة ان وطدت نفسها على انتظار ادخال تعديل في حال المسلمين هناك وتعليلها الامل بان نشر التعليم العام بينهم سيؤدي بعد الى نتيجة حسنة . على ان الاميركان كانوا يوجسون خيفة من نظام الاقطاعات الشائع بين المسلمين هناك . وقد نادت حكومة اميركا بان يظل اهل ولاية المسلمين يحكمون انفسهم بانفسهم ولم تتداخل الا بعض الشيء في حكومتهم وادارة بلادهم وتمتاز حكومة اميركا عن اسبانيا بان طريقتها في حكم تلك الجزيرة والمسلمين من اهلها خاصة هو بتدريب الاهلين على المبادىء الديمقراطيه اما اسبانيا فقد ارادت ان تحمل على الاسلام نفسه تخلص من المسلمين . ولو اقترب بعض الزعماء المسلمين من الاميركان سياسياً مع احتفاظهم باخلاقهم من الوجهة الاجتماعية لما طال على البلاد عهد السلام

وقد عنيت الحكومة الاميركية بتنظيم شؤون المسلمين وتأسيس بلديات لهم في الجزر تقيم مع المجالس الوطنية وتعمل بالعادات الوطنية ما امكن وهي العادات التي لا تنافي عادات الشعوب المتمدنة ولا اخلاقها وقد بلغ عدد جيش الاحتلال الاميركي النازل في جزيرة سولو وحدها ٤٨٣٩ رجلاً و ٣٩٤ ضابطاً على ان المخبرين من اهلها لا يتجاوزون العشرين الف رجل . وفي تلك الولاية ٤١ مدرسة فيها ١١٤ تلميذاً و ١٥ معلماً اميركياً و ٥٠ معلماً

سيحيا وضنيا وه معلمين مسلمين والمدارس غاصة بالتلاميذ والمتعلمين حتى ان ٢٤٠ طفلا من المسلمين حرموا من الدرس الآن فباتوا ينتظرون لان المدارس ماشت بالتلاميذ والطلاب من المسلمين

احدى نقائص الاجتماع

٢

شيخ كثير الذكر والتسبيح ... ينهى عن المنكر والقبيح
يقول قال الله والرسول ... واثبت المنقول والمعقول
ويكثر الصلاة في المساجد ... والدور اذ يدعى الى الموائد
وربما ازور عن الطعام ... مخافة الوقوع في الحرام
وصد ظمآنا عن الشراب ... كيلا تطول مدة الحساب
صارت له منزلة جليله ... وشهرة عريضة طويله
فأمه الغني والفقير ... وزاره الكبير والصغير
هذا يريد مطلبا عسيرا ... وذاك يرجو نشبا وفيرا
وذا يروم البرء من ادوائه ... اذ عجز الأساة عن دوائه
وازدحمت في داره النساء ... فالمرء دونه رجاه
هذي جفاها الزوج منذ حين ... ولج في الغلظة بعد اللين
وتلك لا تملأ الاولادا ... فقلبها ينقد انقدادا
وهذه قد رغب الخطاب ... عنها فاشقى عيشها العذاب
وهكذا استسلمت العقول ... للشيخ فهو الله والرسول
وكاد ان يعبد دون الخالق ... سبحانه عن عمه الخلائق
وانني لفي ممر خال ... ساق اليه سائق الاحوال
في ليلة اودى شقاء اجد ... بحليها فاستسلمت للوجد
احزنها تعسف الخطوب ... فدمعها منهمر الشؤبوب
اذ عن شيخ لو بعيني رأتم ... مرة لكان مثل وهم الواهم
فكان لي من امره المريب ... وشغفي بالنادر الغريب